

## 21673 - هل يشتغل بطهارة القلب أم بنوافل الأعمال ؟

السؤال

أَيْمًا أَوْ أَيْمًا مُعَالَجَةً مَا يَكْرَهُ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكِ مِثْلُ : الْحَسَدِ وَالْحِقْدِ وَالْغُلُّ وَالْكِبْرِ وَالرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ وَرُؤْيَاةِ الْأَعْمَالِ وَقَسْوَةِ الْقَلْبِ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ، مِمَّا يَخْتَصُ بِالْقَلْبِ مِنْ دَرَنِهِ وَخُبْرِهِ ؟ أَوْ الاشْتِغَالُ بِالْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ : مِنَ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَأَنْواعِ الْقُرُبَاتِ : مِنَ النَّوَافِلِ وَالْمُذَوَّرَاتِ مَعَ وُجُودِ تِلْكَ الْأُمُورِ فِي قَلْبِهِ ؟ أَفَتَوَنَا مَأْجُورِينَ .

الإجابة المفصلة

مِنْ ذَلِكَ مَا هُوَ عَلَيْهِ وَاجِبٌ : وَأَنَّ لِلأَوْجَبِ فَضْلًا وَزِيَادَةً ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْهُ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَا تَقْرَبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِمِثْلِ أَدَاءٍ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ) ، ثُمَّ قَالَ : (وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقْرَبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحِبَّهُ). وَالْأَعْمَالُ الظَّاهِرَةُ لَا تَكُونُ صَالِحةً مَقْبُولَةً إِلَّا بِتَوْسُطِ عَمَلِ الْقَلْبِ فَإِنَّ الْقَلْبَ مَلِكُ الْأَعْضَاءِ جُنُودُهُ ، فَإِذَا خَبَثَ الْمَلِكُ خَبَثَتْ جُنُودُهُ ; وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَلَا وَإِنِّي فِي الْجَسَدِ مُضَعَّةٌ إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ). وَكَذَلِكَ أَعْمَالُ الْقَلْبِ لَا بُدَّ أَنْ تُؤْثِرَ فِي عَمَلِ الْجَسَدِ إِذَا كَانَ الْمُقَدَّمُ هُوَ الْأَوْجَبُ [سَوَاءٌ] سُمِّيَ بِالْأَطْنَاءِ أَوْ ظَاهِرًا فَقَدْ يَكُونُ مَا يُسَمِّي بِأَطْنَاءٍ أَوْجَبٌ مِثْلُ تَزْكِيَةِ الْحَسَدِ وَالْكِبْرِ فَإِنَّ أَوْجَبَ عَلَيْهِ مِنْ نَوَافِلِ الصِّيَامِ وَقَدْ يَكُونُ مِمَّا سُمِّيَ ظَاهِرًا أَفْضَلَ : مِثْلُ قِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ مُجَرَّدِ تَرْكِ بَعْضِ الْخَوَاطِرِ الَّتِي تَخُطُّرُ فِي الْقَلْبِ مِنْ جِئِسِ الْغَيْبَةِ وَنَخْوِهَا وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ عَمَلِ الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ يُعِينُ الْآخَرَ وَالصَّلَاةُ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَتُورِثُ الْخُشُوعَ وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْأَثَارِ الْعَظِيمَةِ : هِيَ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ وَالصَّدَقَةُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ". انتهى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (2386) مجموع الفتاوى (6/381)

فلا فصل بين صلاح الباطن وإصلاح الظاهر.

والعبادات الظاهرة التي يمارسها الإنسان بجواره فإنها - إذا أراد بها وجه الله - تؤثر إيجاباً في باطنها ولا شك .

ومن أمثلة ذلك قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِمَا يُدْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ صَوْمُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ " رواه النسائي (2249) وصححه الألباني في صحيح النسائي (2386)

ووحر الصدر : غيبة وحدقه وحسده .

ومن العلاجات المهمة لأمراض القلب التدبر والتفكير في نصوص الوعيد على من ترك هذه الأمراض ترتع في قلبه كقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مَثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كَبْرٍ " رواه مسلم (91).

وحدثت قول النار : " أَوْتَرَتْ بِالْمُتَكَبِّرِينَ " رواه البخاري (4850) ومسلم (2846)

وحدث : "يُحشر المتكبرون يوم القيمة أمثال الذر في صور الرجال" رواه الترمذى (2492) وحسنه الألبانى فى صحيح الترمذى (2025).

وقول النبي صلى الله عليه وسلم : " دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأَمْمِ قَبْلَكُمُ الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ هُيَ الْحَالَةُ لَا أَقُولُ تَحْلُقُ السَّعَرَ وَلَكُنْ تَحْلُقُ الدِّينِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تَحَابُوا أَفَلَا أَنَّبَّكُمْ بِمَا يُبَيِّثُ ذَكُورُكُمْ لَكُمْ أَفْشَوُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ " رواه الترمذى (2510) وحسنه الألبانى فى صحيح الترمذى (2038)

فمن تأمل بعين البصيرة مثل هذا الوعيد على هذه الأمراض القلبية فإنه ولا شك سيجاهد نفسه في تطهير قلبه منها ، ويستعين على ذلك بأعمال الجوارح ويدعو ربها أن ينقى قلبه من الغل والحسد والحدق وغيرها كما قال تعالى عن دعاء المؤمنين : **{ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا}**.

والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد .